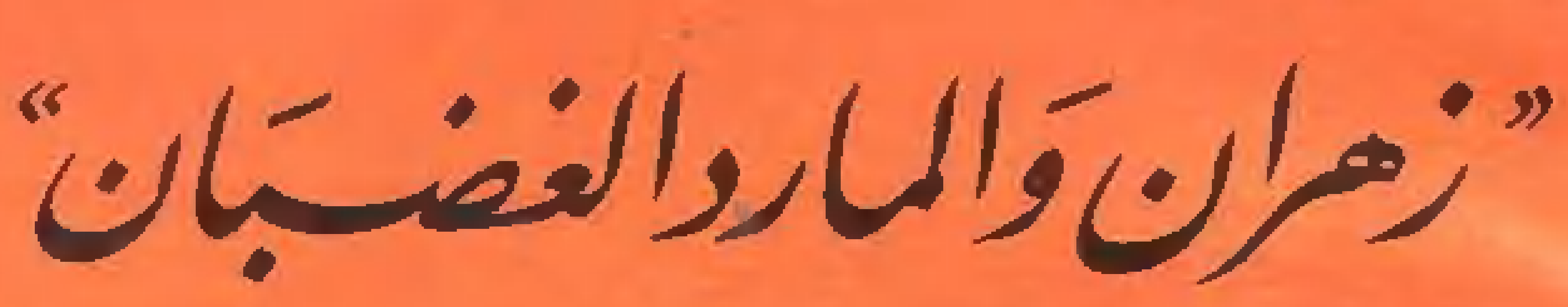
أساطير وحكايات





دار القلم
بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

زهران والمارد الغضبان

تأليف: محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

في سالف العصر والأوان كان يعيش حطاب مسكين اسمه زهران في كوخ صغير قرب الغابة ولا ونيس له أو جليس الا حماره الذي يحمل له الحطب جيئة وذهابا مـن الغابة الى المدينه. وكان قانعا بحياته راضيا عن حماره وحياته..

وذات مساء أثقل زهران في الطعام ونام منتفخ البطن سعيد بما جاد به الزمان دون جهد.. لقد ساق له حظه ذلك الأرنب السمين ليجده في كوخه سجين بعد أن تعذر عليه الخروج وضل الطريق المبين..

أمسك به وذبحه وأوقد النار وطبخه فلما نضج وفاح ريحه لم يتمالك لعابه الذي سال ولا شوقه الذي طال لطعم اللحم اللذيذ الذي لا يراه الا في الحلم أو في تكيةّ مولانا الوزير.



ورأى وهو نائم شيخ وقور أيقظه وقال أنا الشيخ قدور جئتك ببشرى ينشرح لها قلبك المقرود ورأى أنه يسأله وما هي البشرى أيها الشيخ الجليل؟. إليّ بها وأسرع فقد طال شوقي ليوم فيه أشبع. ربت الشيخ على كتفه وقال:

ـ اذهب ونقب عن كنوز الأرض فكلها لك حق مباح.

هتف زهران بفرح وجنون

ـ كلها لي وحدي لا يشاركني فيها وال ولا جندي.؟

أجابه الشيخ

ـ لك وحدك فاخرج في الحال وابحث ونقب.

قال زهران وهو سعيد فرحان

ـ كلها لي وحدي.؟ لا يشاركني فيها وال وجندي..

أجابه الشيخ

ـ ان جاءك الوالي فاضربه بعكازي هذا على أم رأسه وقل له





الكنز من الشيخ قدور فلا شأن لك بـه وهيا اذهب بعيـدا عني وغور..

وأخذ زهران يهذي ويلوح بيديه ويضرب بها الوالي وهو يردد

ـ الكنز من الشيخ قدور فلا شأن لك به وهيا اذهب بعيدا عني وغور..

واشتد هذيانه وهو يضرب الهواء بيديه فسقط على الأرض وهو لا زال يردد ما كان يقوله في المنام..

منذ ذلك اليوم وتبدل حال زهران فكان يعمل في التحطيب نصف نهاره ويحمل فأسه ويركب حماره ويدخل الى الغابة ينبش الأرض وينقب عن كنز واحد من هذه الكنوز التي وعده بها الشيخ قدور ولكن طال بحثه ولم يعثر على لب ولا قشور. ولكن لم يداخله يأس ولا قنوط واستمر في بحثه وتنقيبه آملا أن يجد يوما نصيبه



وذات يوم وكان قد أوغل داخل الغابة وهو في بحثه وتنقيبه غير متنبه إلى مرور الوقت وإنتهاء النهار حتى لفحته ريح باردة فنظر إلى السماء ووجد الليل على وشك الحلول وهو بعيد عن كوخه فنظر حوله ووجد كهفاً صغيراً في بطن الجبل وقرر أن يلوذ به حتى يصبح الصباح وساق إليه حماره وجمع بعض الحطب وأشعل فيها النار وأحس بالدفء فخاف أن ينام وأسرع يجمع وقوداً للنار التي كادت أن تخبو ولين عضلات ساقيه وذراعيه بحركات سريعة ليطرد النوم الذي كاد يغلبه ثم عاد إلى مجلسه.

وما كاد يجلس حتى سمع صوت احتكاك الأغصان وصوت خطوات ثقيلة تدب على الأرض فيهتز لها مجلسه. نظر حوله مذعوراً مشدوهاً وهو يردد:

- يا ساتر الستر استرني..

وإستمر صوت الدبيب وزاد وضوحا وشاهد شجرتين كبيرتين تهويان مفسحتان الطريق لمارد هائل الجثة ضخمها يتقدم باتجاه الجبل الذي يلوذ بمغارته.

نظر اليه بعينيه الزائغتين واستعاذ بالله من شره فقد رأى أمامه ما يشبه الطود الراسخ له رأس بحجم الفيل تتوسطه عين كعين ماء واسعة وأنف يفوق في حجمه حجم بعير كبير أما فمه فكان كمغارة لا تعرف لها نهاية. وتدلى الى جانبيه ذراعان كالنخلتين الطويلتين وتنتهيان بأصابع قصيرة وأظافر كالسيوف الماضية. أما قدميه فكانتا كبنيان من صخر جلمود وينتهيان بأظافر كسن المحراث..

وقف المارد ينظر حوله يمينا ويسارا ثم زفر بقوة فأطفأ النار وكاد يقتلع زهران من مكانه فاصتكت أسنان زهران من شدة الرعب وانتهز فرصة الظلام وانسحب من مكانه الى داخل المغارة الضيق والتصق بحماره الذي لم يكن أقل منه خوفا ولا رعبا.

همس له زهران قائلا

- إحذر يا حماري فلو نهقت سيكون في ذلك دماري ودمارك.

ويبدو أن الحمار لم يفهم ما يعنيه وشاء أن يجاوبه فأطلق صوته عاليا وزاد من ضخامته تردد الصوت داخل المغارة.. وهب زهران يمسك بفمه يحاول أن يسكته ولكن بعد فوات الأوان فقد تنبه له المارد وجلس القرفصاء بصعوبة تامة وحاول أن يدخل أصبعه الى داخل المغارة ولكن اصبعه الغليظة حالت بينه وبين الوصول الى مكانه وزهران يرتعد بعنف وحماره أشد رعبا وأكثر أرتجافا.

قال زهران

- يا لطيف الألطاف نجنا مما نخشى ونخاف..

وكرر المارد المحاولة مرة ومرات وباءت جميع محاولاته بالفشل وأخيراً تكلم بصوت كقصف الرعد

- أخرج أيها الانس والا دككت الجبل على رأسك.



أجابه زهران

ـ أيها المارد العظيم المهاب ما ذنبي إن كانَ حظي الذي كالهباب قد ألقاني بين شرين شر الموت تحت الأنقاض أو الخروج ولا أمل في اياب...

ضحك المارد فاهتز الجبل لضحكاته وتساقطت صخوره

قال المارد

ـ أنت سريع البديهة حاضر النكته أيها الانس وما أشد حاجتي لمثلك فيزيل الهم عني ويؤنس من وحدتي..

تفاءل زهران خيرا وقال

إن كنت تبحث عن مزيل الهموم ومفرج الأحزان فأنا هو وإن شئت في أنيس فأنا الأنيس الجليس..

قال المارد بفرح

ـ اذا أخرج من هذا الجحر ودعنا من هذا المكان.. سأخذك الى قصر أعلى قمم جبال البركان حيث نعيش في سعادة وسرور والدنيا من هناك ستراها ساجدة تحت قدميك.. باشاره منك على أي شي يكون لك إن شئت حملت اليك كل خيرات الأرض وإن رغبت دككت لك الممالك والعروش... أيرضيك هذا؟ أجابه زهران ببساطة

ـ بالطبع لا..

صرخ المارد بغضب

ـ تقول لا.. الويل لك.. سأسحقك سحقا..

أجابه زهران بدهاء

ـ أهكذا تتبدل وتتغير بين لحظة وأخرى.. منذ قليل عرضت عليّ صداقتك وقبلتها وطلبت أن أكون نديمك فرحبت وعندما أرفض

الظلم تتهددني بما هو أظلم.. إن شئت أن تسحق كما تقول فافعل والله خالقي يتولاني برحمته..

كان صوت المارد يغلبه التأثر عندما قال

- هل أحزنك تهديدي أيها الانس.؟ اذا فأنا غبي وأستحق العقاب..

قال ذلك وانتصب واقفا وأخذ يلطم خديه حتى سقطت احدى أسنانه فسدت به المغارة..

أحس زهران بالإشفاق على المارد فصرخ قائلا

- أيها المارد.. كفى بالله ما فعلت.. لماذا تقسو على نفسك كل هذه القسوة لتعبر لي عن أسفك.؟

كف عن هذا ودعنا نتفاهم..

كف المارد عن عقاب نفسه وعاد يرقد على وجهه ولما وجد سنه وقد سدت باب المغارة أزاحها باصبعه فسقطت الى بطن الوادي في صوت رهيب..

قال المارد





ـ تكلم أيها الانس.. أخبرني بما تريد ودعك مما كنت أنا أريد..

أجابه زهران

ـ أولا وقبل كل شي تقسم لي على الوفاء والاخلاص فلا تغدر بي ولا تخون عهد صداقتنا..

أجابه المارد بصوت خاشع

ـ أقسم بنبي الله سليمان أن أكون لك صديقا مخلصا وفيا..

تهلل وجه زهران وحمد ربه اذ هداه الى القسم وقال

ـ ثانيا.. طالما أنني أصبحت صديقك فيكون لي حرية الحياة أعيشها كما يحلو لي كما تعيش حياتك كما يحلو لك فلا تأسرني بصداقتك ولا أقيدك بصداقتي...

أجابه المارد

ـ موافق..

قال زهران

بقي أن أعرف أسمك وتعرف اسمي..

أجابه المارد

أسمي زنزان ابن بهنان..أهو اسم جميل أيها الأنس.؟

ابتسم زهران وقال

ـ انه جميل ولكن وقعه على الآذن ثقيل..سأختصره أيها الصديق فأدعوك زنزهان.. ما رأيك.؟

ضحك المارد بسرور وقال مرددا

أسم جميل أيها الصديق.. زنزهان.. أصبح اسمي زنزهان والآن ما هو اسمك..

أجابه زهران..

ـ اسمي زهران..



ردد المارد الاسم وقال

ـ زهران.. زهران اسم جميل يا زهران..

أجابه زهران وهو يتقدم نحو باب المغارة

افسح لي حتى أخرج اليك..هب زنزهان من مكانه فرحا فخرج زهران ساحبا حماره ونظر الى المارد كما ينظر السائر على الأرض الى قمة الجبل الشامخ وهتف يقول

ـ سيصعب التفاهم بيننا وأنت بعيد عني كل هذا البعد. الا يمكنك الجلوس..

سارع المارد وجلس فإذا برأسه عند سفح الجبل فقال زهران

ـ لا يا زنزهان... الأفضل أن تجلسني وحماري على سفح الجبل فأصبح وجهاً لوجه معه وأنت جالس جلستك هذه...



وفي لمح البصر كان زهران وحماره فوق سفح الجبل وجها لوجه مع المارد الرهيب. .

ضحك المارد بسعادة وقال

ـ أنت ذكي يا صديقي زهران. . أما صديقك زنزهان فلا يعرف كيف يفكر. بهذا وصفونا وخرجتم بأمثالكم تصفونا وقلتم أجسام البغال وأحلام العصافير. .

ضحك زهران وقال

ـ أي بغال يا صديقي وعشر بغال لا تقدر على تحريك اصبع من أصابعك. ؟ دعنا من هذا وأخبرني لماذا أنت وحيد لا أنيس لك ولا صديق. ؟

أجابه المارد

ـ جربت أن يكون لي صديق ولكنه غدر وخان ونكص في عهوده. . كدت أبطش به ولكني تذكرت كلمات نبي الله سليمان التي حرم علينا بها القتل فصفحت عنه وأبعدته عن معاشرتي. . وكان ذلك منذ ألف سنة. .

قال زهران

ـ ألف سنه عشتها وحيدا لأن صديقك خان عهدك. ؟

وهز رأسه عجبا وقال لنفسه

ـ حتى المردة ينقصهم الوفاء والاخلاص. . سبحانك ربي لك في ذلك حكم. .

سأله زهران

ـ ولماذا لم تتزوج فتسعد بأولادك وزوجتك فلا تحس فراغا ولا مللا. .

زمجر زنزهان بغضب وقال



ـ كنت متزوجا من أربعة ولي مائة من الأولاد..

هتف زهران بذهول

يخرب بيتك.. مائة ولد.؟ وأين هم اذن.؟

أجابه زنزهان

ـ ذهبوا مع امهاتهن عندما طردتهن.. أثنتين وهربت من اثنتين..

سأله زهران وقد ازداد عجبه

ـ ولماذا تطردهن ولك منهن هذا العدد من الأولاد.؟

أجابه زنزهان

ـ لذلك قصة لا بأس من سردها عليك.. كانت زوجتي الأولى جميلة ورشيقة اذا سارت مادت الأرض تحت ثقلها واذا ضحكت هبت الريح والزوابع أما اذا غنت فإنها تسكت الرعد في السماء..

تمايل زهران طربا وقال متهكما





ـ ياللجمال الساحر.. معذور يا أخي زنزهان.. من كانت بهذه الأوصاف يجب ان تتدله بها حبا.. أكمل.. وماذا حدث.؟

تابع زنزهان سرد قصته فقال

ـ وانجبت لي عشر أولاد دفعة واحدة ففرحت بهم فرحا شديدا ولكن سرعان ما كرهتهم فقد أولتهم كل اهتمامها وحبها وأهملتني أنا...

تنهد زهران وقال لنفسه

ـ النفس هي النفس سواء في الانسان أو الجان. إن ما عانى منه زنزهان يعاني منه ملايين الأزواج بيننا نحن بني الانسان..

قال زنزهان

ـ فلماذا أهملتني..

أجابه زنزهان

ـ أسرعت وتزوجت بأخرى..

استبد العجب بالمارد وقال بدهشة

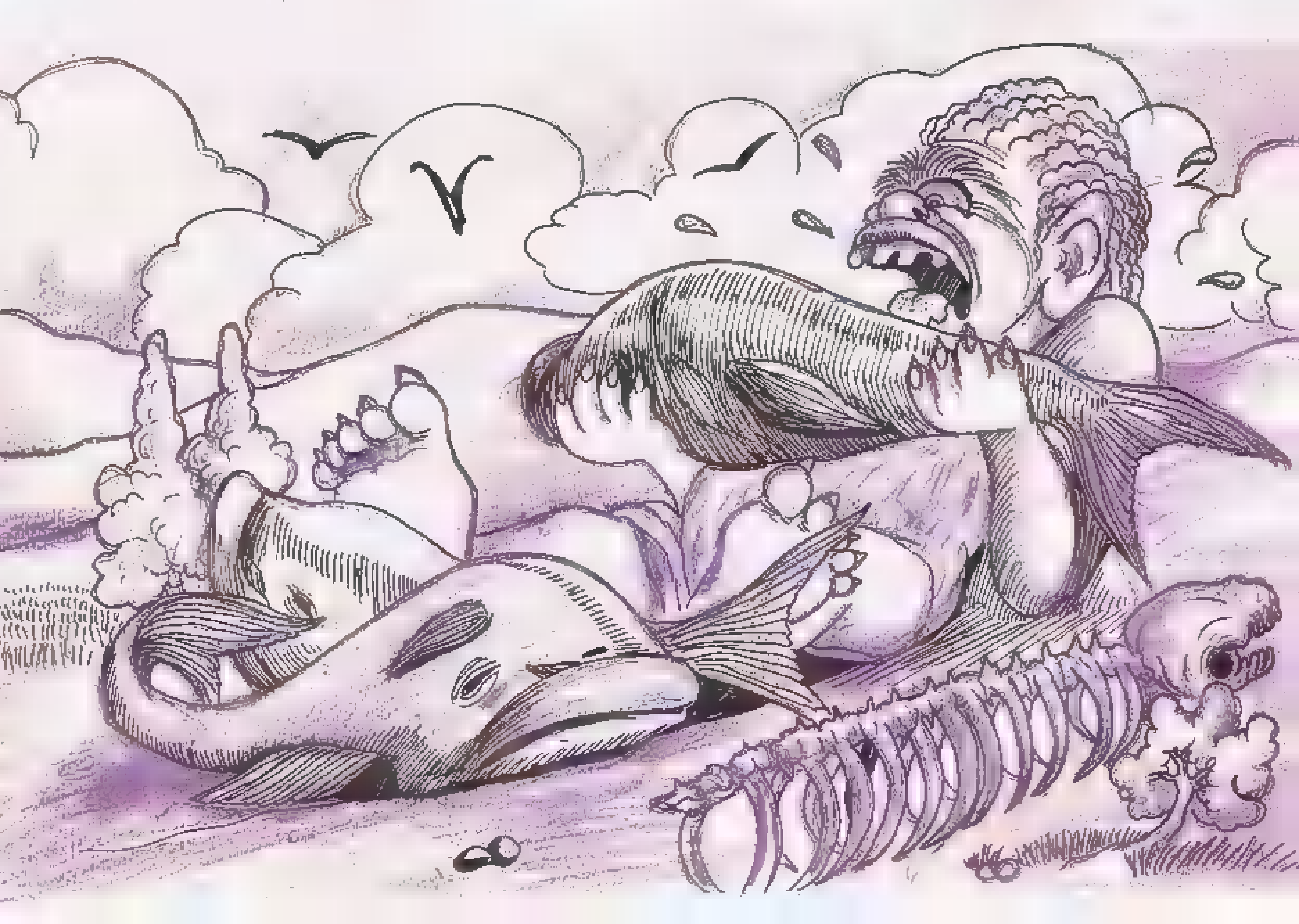
ـ ومن أين عرفت وقد مضى على ذلك الفي عام.؟

ضحك زهران من سذاجة صديقه وقال

- منذ الخليقة وحتى تقوم الساعة وحواء هي حواء وآدم إنسيا كان أم جنيا هو آدم الذي يركب رأسه فيزيد على الداء داء وداء...

قال زنزهان متابعا

- تزوجت الثانية وأنجبت بدورها عشرات أثر عشرات حتى بلغ نسلها ثلاثين.. كلهم شرهين كسالى وكان عليّ أن أسعى لإطعامهم.. كنت أنقل اليهم قطيع الجواميس مساءا فلا أجد حتى عظامه صباحا.. كان أصغرهم يحب الأسماك وكان عليّ أن أزوده كل يوم بأربع من أكبر الحيتان يلتهمها ويسألني المزيد.. تعبت وأصابني الوهن وطلبت منها مساعدتي في اطعامهم فثارت وولولت وأسرعت تشكوني لوالدها وأخوتها فانحازوا لها ضدي فلم يسعني الا طردهم جميعا بعد أن أشبعتهم ضربا





وقررت أن أعيش بدون زواج ولكني لم أستمر على اصراري أكثر من مائة عام ثم تزوجت من الثالثة والرابعة معا. .

دهش زهران وقال

- تتزوج الأثنين معا. . وما الحكمة من ذلك.؟

أجابه المارد

ظننت أنني بزواجي منهما سأعيش مرتاح البال هانئا وقد كان ومرت المائة عام الأولى ونحن سعداء لا خلاف ولا شجار. . نأكل ونمرح والسعادة ترفرف علينا حتى صادفت في طريقي ذات يوم قطيع من الغزال السمين وكانت احداهما مولعة بلحم الغزال فحملته لها وكان مكونا من مائتي رأس فاستقبلتني بالترحاب وذهبت لأنام ريثما تنتهي من اعداد الطعام ولكني إستيقظت على صوت صراخ وشجار فهببت من نومي مذعورا فوجدت احداهما توسع الأخرى ضربا وركلا حتى كادت تقضي عليها فلما تقدمت لأحول بينهما انبرت نحوي وكادت تفترسني. .



سأله زهران

ـ ولماذا تشاجرتا وكانتا صديقتين كما قلت..

أجابه

لأن اللعينة أوقدت النار وأخذت في شي الظباء وكلما نضجت واحدة ألقت بها الى فمها وأردفتها بالثانية وهكذا دواليك فلما شمت الثانية رائحة الشواء وكانت نائمة هبت والجوع يعصف بها وسارت اليها فلم تجد الا

النار المشبوبة ولا أثر للظباء.. وبدلا من التحكيم اليّ انهالت عليها ضربا كما ذكرت لك..

سأله زهران

ـ ثم ماذا حدث.؟

أجابه زنزهان

ـ أرضيتها وطيبت خاطرها ووعدتها بقطيعين بدلا من قطيع واحد ولكنها ركبت رأسها وأصرت على أمر.. اطرد ضرتها بعيدا حتى أعيش بعيدا معها وحدها سعيدا. أوقعتني اللعينة في حيرة.. لو إستجبت لمطلبها جلبت على نفسي الدمار فأهل زوجتي من المردة الأشرار ولا قبل لي بمحاربتهم ولا حتى الشجار.. ولو رفضت مطلبها ستكون الحياة بينهما جحيم لا يطاق لن ينالني من ورائه الا العراك والشقاق. لذلك حزمت أمري وقررت الخلاص.. وانتظرت فرصة حلول الظلام وكانتا من كثرة الشجار قد غلبهما النوم وطرت بعيدا في سفر دام ألف عام حتى حططت الرحال هنا في هذا المكان لا أعاشر فيه لا انس ولا جان. هذه قصتي يا صديقي زهران. فهل يجري للإنسان ما يجري لنا نحن الجان

ضحك زهران وقال

ـ أيها المسكين.. عندنـــا بدون غزلان ولا قطعان.. المرأة هي المرأة في كل مكان وزمان.. متى دبت الغيرة في قلبها شبت النار وانعدمت الحيلة فلا تحزن لما أصابك فكلنا في الهم سواء والويل لمن أسلم أمره للنساء..

تمت

الرسوم والإخراج : عبد الرحمن القاروط

صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وطاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت طاطش
- زهران والمارد الغضبان
- يا ليل يا عين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص. ب: ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٢٨٩ - برقياً: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها